

- ٤٤ -

تواضع العلماء

اعتنى البخاري - رحمه الله تعالى - بالجانب التربوي من هدي النبي - ﷺ - لا سيما في التعليم، يظهر ذلك جلياً لمن أمعن النظر في تراجم أبوابه، وما نبه إليه الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - من خلال شرحه العظيم "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" في آخر شرحه لأغلب الأحاديث، وغيره من أهل العلم والفضل.

وفي هذه المقالات سأسلط الضوء على بعض هذه الفوائد التي ذكرها في شرحه لكتاب العلم، مع شيء من الإضافة والتنسيق والتعديل على سبيل الإيجاز، لعل الله - ﷻ - ييسر الانتفاع بها لتعم بها الفائدة.

قال البخاري - رحمه الله تعالى - :

"باب ما يستحب للعالم إذا سئل: أي الناس أعلم؟ فيكل العلم إلى الله

.. عن سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس: إن نوقاً البكالي يزعم أن موسى ليس بموسى بني

إسرائيل، إنما هو موسى آخر؟

فقال: كذب عدو الله، حدثنا أبي بن كعب عن النبي - ﷺ - : قام موسى النبي خطيباً في بني

إسرائيل فسئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم، فعتب الله عليه، إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه: أن

عبداً من عبادي بمجمع البحرين، هو أعلم منك.

قال: يا رب، وكيف به؟

فقيل له: احمل حوتًا في مكتل، فإذا فقدته فهو ثم.

فانطلق، وانطلق بفتاه يوشع بن نون، وحملًا حوتًا في مكتل، حتى كانا عند الصخرة وضعا

رؤوسهما وناما، فانسل الحوت من المكتل فاتخذ سبيله في البحر سرّبًا، وكان لموسى وفتاه عجبًا، فانطلقا

بقية ليلتهما ويومهما، فلما أصبح قال موسى لفتاه: آتنا غدائنا، لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا، ولم يجد

موسى مسًا من النصب حتى جاوز المكان الذي أمر به.

فقال له فتاه: {أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان}.

قال موسى: {ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصًا} فلما انتهيا إلى الصخرة، إذا رجل

مسحى بثوب، أو قال تسحى بثوبه، فسلم موسى، فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام؟

فقال: أنا موسى.

فقال: موسى بني إسرائيل؟

قال: نعم.

قال: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشداً.

قال: إنك لن تستطيع معي صبرًا، يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت،

وأنت على علم علمكه لا أعلمه.

قال: ستجدني إن شاء الله صابرًا، ولا أعصي لك أمرًا.

فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، ليس لهما سفينة، فمرت بهما سفينة، فكلموهما أن يحملوهما، فعرف الخضر فحملوهما بغير نول، فجاء عصفور، فوقع على حرف السفينة، فنقر نقرة أو نقرتين في البحر.

فقال الخضر: يا موسى ما نقص علمي وعلمك من علم الله إلا كنقرة هذا العصفور في البحر.

فعمد الخضر إلى لوح من ألواح السفينة، فترعه.

فقال موسى: قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها؟

قال: ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً؟

قال: لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً.

فكانت الأولى من موسى نسياناً.

فانطلقا، فإذا غلام يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر برأسه من أعلاه فاقتلع رأسه بيده.

فقال موسى: أقتلت نفساً زكية بغير نفس؟

قال: ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً؟

فانطلقا، حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها، فأبوا أن يضيفوهما، فوجدا فيها جداراً يريد أن

ينقض فأقامه.

قال الخضر بيده فأقامه.

فقال له موسى: لو شئت لاتخذت عليه أجراً.

قال: هذا فراق بيني وبينك.

قال النبي - ﷺ - : (يرحم الله موسى، لو ددنا لو صبر حتى يقص علينا من أمرهما)".

من الفوائد المستنبطة:

١. استحباب الرحلة للعلم.
٢. جواز التزود للسفر.
٣. فضيلة طلب العلم والأدب مع العالم، وحرمة المشايخ، وترك الإعتراض عليهم وتأويل ما لم يفهم ظاهره من أقوالهم وأفعالهم، والوفاء بعهودهم، والاعتذار عند المخالفة.
٤. إثبات كرامات الأولياء وصحة الولاية.
٥. جواز سؤال الطعام عند الحاجة.
٦. جواز الإجارة.
٧. جواز ركوب البحر ونحو ذلك بغير أجره برضى صاحبه.
٨. الحكم بالظاهر حتى يتبين خلافه.
٩. أن الكذب الإخبار على خلاف الواقع عمداً أو سهواً.
١٠. إذا تعارضت مفسدتان يجوز دفع أعظمهما بارتكاب أخفهما، كما في حرق الخضر السفينة لدفع غضبها وذهاب جملتها.
١١. بيان أصل عظيم وهو: وجوب التسليم لكل ما جاء به الشرع، وإن كان بعضه لا تظهر حكمته للعقول ولا يفهمه أكثر الناس، وقد لا يفهمونه كلهم: كالقدر، وموضع الدلالة قتل الغلام، وحرق السفينة فإن صورتيهما صورة المنكر، وكان صحيحاً في نفس الأمر له حكمة

بينه، لكنها لا تظهر للخلق فإذا علمهم الله تعالى بها علموها، ولهذا قال: {وما فعلته عن أمري}

[الكهف: ٨٢].

١٢. ما تعبد الله تعالى به خلقه من شريعته يجب أن يكون حجة على العقول، ولا تكون

العقول حجة عليه.

وغير ذلك من الفوائد.

DR-ALHADARI.COM